مقتطف من كتابه الجديد (الستار)

ميلان كونديرا: لقد شهدت موت أمتي

ترجمة جودت جالي

ولادة منسية:

اليوم... ماذا بقي في الذاكرة من غزو الجيش الروسي لتشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨؟ لقد أشعل هذا الغزو حريقا في حياتي، مع ذلك لو أعدت كتابة ذكرياتي عن ذلك الزمن فأن النتيجة ستكون بائسة مليئة بالأخطاء قطعا، وبأكاذيب لا إرادية. ولكن الى جانب الذاكرة الحقيقية توجد ذاكرة أخرى: لقد بدت لي بلادي الصغيرة مجردة من البقية الباقية من استقلالها، أبتلعها الى الأبد عالم شاسع غريب، وهاأنا قد اقتنعت بأني أسهمت في بداية عذابها، لقد كان تقييمي للوضع زائفا بالتأكيد، ولكن رغم خطئي (أو بفضله على الأصح) فأن تجربة عظيمة قد حفرت في ذاكرتي الوجودية.. أعرف من وقتها الذي لا يستطيع أي فرنسي، أي اميركي أن يعرفه، أعرف ما معنى أن يشهد إنسان موت أمته.

فكرت، وقد خدرتني صورة موتها، بولادتها، بولادتها الثانية بتعبير أدق، نهضتها بعد القرنين السابع عشر والثامن عشر اللذين اختفت خلالهما كتب ومدارس وعاشت خلالهما اللغة التشيكية التي كانت عظيمة الى جوار اللغة الألمانية كلغة محلية. فكرت بكتاب وفناني القرن التاسع عشر الذي أيقظ بزمن معجز القصر أمة نائمة، فكرت بسميتانا الذي كان لا يعرف حتى الكتابة بلغة تشيكية صحيحة وكتب مذكراته بالألمانية وكان مع ذلك الشخصية الأكثر رمزية للأمة التشيكية. حالة فريدة.. لأن التشيك الذين كانوا جميعا ثنائيي اللغة قد واتتهم الفرصة في أن يختاروا، في أن يولدوا أو لايولدوا، في أن يكونوا أو لا يكونوا. لقد أمتلك أحدهم وهو (هوبيرت غوردون شاور) الشجاعة لأن يصوغ التحدي دون لف أو دوران: (ألن نكون أكثر نفعا للإنسانية أن نحن ضممنا طاقتنا الروحية الى ثقافة أمة عظيمة على مستوى أرفع من مستوى الثقافة التشيكية الوليدة؟). مع ذلك فقد انتهى أمرهم الى تفضيل ثقافة (وليدة) على ثقافة الألمان مكتملة النمو.

حاولت أن أفهمهم. أين تكمن جاذبية الروح الوطنية؟ هل هي في سحر رحلة داخل المجهول؟ هل هي في الحنين الى ماض تام؟ أم في سماحة تفضل الضعيف على القوي؟ أم في الانتماء الى عصبة أصدقاء متلهفين لخلق عالم جديد؟ ليس فقط خلق قصيدة، أو مسرح، أو حزب سياسي، بل أمة كاملة حتى بلغتها شبه المتلاشية. لقد أدهشني، وأنا لا يفصلني عن زمنهم سوى ثلاثة أو أربعة أجيال، عجزي عن أن أكون مثل أسلافي، أن أعيد في مخيلتي خلق الحالة الملموسة التي عاشوها. في الشوارع يتجول الجنود الروس، لقد أرعبتني فكرة أن قوة ساحقة ستمنعنا من أن نكون أنفسنا، وفي الوقت نفسه، تأكدت أني لا أعرف كيف ولماذا أصبحنا على ماكنا عليه، ولم أكن متأكدا حتى من أني كنت سأكون قادرا قبل قرن من الزمن، على أن أختار أن أكون تشيكيا. لم تكن معرفة المعلومات التأريخية هي التي تنقصني. كنت بحاجة الى معرفة أخرى، المعرفة التي، كما قال فلوبير، تدخل (روح) حالة تاريخية، تقوم على محتوى أنساني، هي الرواية ربما، رواية عظيمة تجعلني قادرا على أن أفهم كيف عاش التشيك وقتها خيارهم، وبما أن رواية كهذه لم تكتب، فهي أذن حالة يكون فيها غياب رواية عظيمة خسارة لاتعوض.

عار تكرار النفس:

خلال الأيام الأولى لإقامتي في براغ بعد سقوط النظام الشيوعي عام ١٩٨٩، قال لي صديق عاش طوال الوقت هناك: (ما نحتاجه هو كاتب كبلزاك لأن ما تراه هنا هو أعادة مجتمع رأسمالي بكل ما يتضمنه من وحشية وغباء، بكل ما فيه من سوقية نصابين ومحدثي نعمة). لقد حلت الوحشية التجارية محل الوحشية الأيديولوجية. ولكن ما يجعل هذه التجربة الجديدة مضحكة هو انها تحتفظ بالتجربة القديمة طازجة في ذاكرتها، هو أن التجربتين متداخلتان، وأن التاريخ كما في مرحلة بلزاك يبعث تشوشا غير معقول. وروى لي الرجل حكاية رجل عجوز، مسؤول سابق رفيع المستوى في الحزب، قبل خمسة وعشرين عاما فضل تزويج ابنته لأبن عائلة برجوازية وقدم كهدية زواج الى العريس وظيفة جيدة واليوم هو يقضي أيامه الأخيرة في عزلة قاتلة، فعائلة صهره استعادت ممتلكاتها التي أممت فيما مضى، وأبنته تشعر بالعار منه لأنها أبنة شيوعي لا تستطيع أن تراه ألا سرا. ضحك صاحبي. هل عرفت المغزى؟ لقد أعاد التأريخ علينا قصة الأب غوريو، الرجل الذي أفلح في زمن (الرعب) في أن يزوج بنتيه من (عدوين للشعب)، وبعدها بسنوات، في زمن عودة النظام القديم، لم تعودا ترغبان برؤيته ، والمسكين لايستطيع رؤيتهما علنا.

ضحكنا طويلا . اليوم أنا أتوقف عند هذا الضحك. في الحقيقة... لماذا ضحكنا ؟ هل كان العجوز التشيكي مضحكا؟ سخيفا لأنه كرر ما عاشه غيره؟ ولكنه لم يكرر شيئا، بل التاريخ هو الذي أعاد نفسه، ولكي يعيد المرء نفسه لابد من أن يكون طائشا غبيا عديم الذائقة . ذائقة التاريخ السيئة هي التي جعلتنا نضحك.

القـــوقعـــة

عبد الله حسين جلاب

في قوقعته الغيلم:
صدى في الاشباح لخطاه..
يغادرها تين البحر:
عليها النار..
قاعدتها اكبر اتساعاتها
على الموج
قمتها عرش الغيلم
في الغيم:
العناقيد بيمناه
وتحت نعليه الجماجم!
اولى طبقاتها:
على حفرتين من الدود
تتدلى الثعابين!
الثانية:
في خرائب تنسج وحشتها
العناكب
كلب يواقع كفناً..
برق يخترق الاشباح:
تطارده البوم!
الثالثة:
دخان جماجم
وعباءة تتوسد بين جمجمتين
صرة النار!
الرابعة:
لقلق في غابة الضفادع
علق اجرد
يأكل اضلاعه الجريد!
الخامسة:
سلاحف آدم
تعلك حشف الريح
وفي حائط الامطار
ضلوع الجد!
السادسة:
فكان في شساعة الملح
مفتوحان لقطرة السماء!
والسابعة:
على درجات السلم
في دحرجة الكيس..
صدى لصراخين:
في قاعدته القط..
على شاربيه دم الجمجمة!
مشهد اخير:
في السورة على درعه
الغيلم!
حوت تحت البحر:
تميد..
فتصطخب الامواج!
تمسك بالرؤيا
وحاذر ضباباً اسحم
على الهدير
حاذر شبح المجهول
وجمجمة تنبحك..
حنظلة منفاك:
في ثقبها قطرة الورد
والعنكبوت!
سحابات من ريش ابيض
بين شواهد
في افق من نعيب!
طيف يختطف بجناحيه
قماشة من الظلمات
فيحرقها بقدحة عينيه
عند جسر بين عالمين:
للحضور عالم
وآخر للغياب!
هيكل بجمجمة عوراء
يناطح السحاب
تحت مخالبه قمر الخوص!
كفن يخطو بتابوتين
على الموج
والخفافيش تعلك الجماجم
في الآس.
تحلق، ثانية، في الدم!

منها الملكة والراقصة والأنيقة واللؤلؤة

أسماك خيالية جداً

وارد بدر السالم

لوحات غريبة لأسماك مختلفة الأنواع والأسماء والألوان، تفردت بعرضها الفنانة التركية "أوفوك كوباس" وهي تجرّب لوناً فنياً جديداً في المعارض التشكيلية من خلال موضوعة واحدة ، تكاد تتشابه ، لولا التقنية الماهرة لريشة أوفوك الدقيقة وهي تنحت في اللوحة الواحدة وتستخرج منها لوحات أخرى، أسماكاً أخرى مشعة بكلّ الألوان الباهرة، حتى يبدو بعضها لامعقولاً لكثافة الألوان فيها وغرائبيتها، فالسمكة حمراء كقطعة الدم، أو ذهبية بارقة، أو شذرية غامقة الزرقة أو زرقاء بعتمة الحبر. والفنانة لا يهمها أن تكون أسماكها "واقعية"بمعنى وجودها الفعلي في قيعان البحار، بل تتقصى مناطق الخيال البعيدة في ذاكرة الرسم لديها ، لتؤسس لها منطقتها الخاصة بحيوية الإبداع الواعي لما تقوم به.

أسماكها مزينة الى أبعد الحدود، عرائس مشعة بأصداف تتقاطع فيها الألوان ، وريشتها ساحرة تتوخى النفاذ الى كل الخلايا الدقيقة بأصابع منضبطة في تقصي الأثر الفنطازي الذي ترومه؛ لذلك ستجد في لوحاتها أجمل أسماك الزينة: فوق رؤوسها تيجان ملكية ، كل ألوان الطيف الشمسي تنعكس من سمكة واحدة، على بعض منها قطع مرايا صغيرة تعكس جزءاً من شكل الناظر إليها ، عمودها الفقري مكون من بقايا مفاتيح علب البيبسي.. أو من قطع معدنية خفيفة، تضاف الى كل هذا جرأة في استخدام اللون الصارخ بثراء لافت للنظر.

مسمياتها ظريفة تمثل جزءاً من تقوية هذا العرض السمكي، فالسمكة "اللؤلؤة" مزينة بإكسسوارات من اللآلئ الكاذبة، والسمكة "الراقصة" تفترق عن الأخريات بأن على جسدها ثلاث قطع CDكما لو أن هذه السمكة مهيأة للرقص في أية لحظة ! و"ملكة الغجر" يتقاسمها الأحمر والأزرق، وهناك "حفلة الأسماك" التي ضمت من كل زوجين اثنين في (كرنفال) ظريف! والسمكة "الملكة" يشع منها لون نحاسي خلاب و يعلوها تاج من ألوان صدفية ، و"سمك الحب" الذي يتميز بأجواء شاعرية قوامها الألوان الهادئة. والسمكة "المتألقة" بزهو عجيب وهي موضوعة في حيز بيضوي شفاف، والسمكة "الببغاء" و"الحمراء" المقصبة بالألوان الدموية ذاتها، وسمكة "الجوقة " وهناك الأسماك السعيدة وأسماك (الكوكتيل) الموضوعة في ثلاثة أقداح، كما لو كانت مصنوعة من مزيج الفاكهة ! والسمكة "العروس" التي تمتاز بذيل الطاووس فيها بألوانها الخضر..

هكذا بدت الفنانة أوفوك كوباس في حفلة ملونة تحت قاع البحر، وهي تنتزع روح الخيال من ذلك القاع، وتقدمه كقوس قزح للجميع. كأنما كانت تبحث في حضارة الأسماك والميثولوجيا المحلية التي ترافقها، لذلك بدت أسماكها كما لو انها تنتمي الى عصور قادمة..

بطاقة

ولدت الفنانة كوباس في اسطنبول ودرست الفن في أنقرة وامستردام. بدأت مشوارها الفني برسوم السيناريوهات القصصية ومساعدة للرسم على الكومبيوتر، ثم للعمل مصممة كرافيك ومصورة لشركات الإعلان وفي الصحف التركية.

الاديـــــب

عـــدد جـــديـــد عـن الـتـصـــوف والفـــوتـــوغـــراف

المدى الثقافي

صدر العدد (٦٩) من صحيفة (الاديب) الاسبوعية في ٢٧ نيسان ٢٠٠٥ حافلاً بالموضوعات الثقافية المتنوعة في الفلسفة الرواية والفنون التشكيلية والنقد الادبي والتصوير الفوتوغرافي ليقدم نماذج من قراءات جديدة للبنية الثقافية وليسهم في اغناء تجربة جديدة تخوضها (الاديب) في بلورة عمل ثقافي يجمع بين الاداء الصحفي المتحرك الذي يعتمد تصوير الواقع دون فوتوغرافية ثابتة بل بحركته الدينامية التي تشي بالجديد والمؤثر وتستلهم التجارب السابقة للمثقف العراقي اضافة إلى تقديم العدد نماذج جديدة في الشعر والقصة.

في عدد (الاديب) الجديد كتب ياسين لطيف احمد متسائلاً "ازاحة المثقف لمن؟" وتحدث عن ضرورة عدم تهميش المثقف في بناء الدولة الجديدة، فيما تناول د. سلمان التكريتي في دراسة جديدة له موضوعة (تصوف وحدة الوجود) في التصوف الاسلامي مؤكداً ان هذا المذهب لم يظهر على يد ابن عربي، فقد كانت ممهداته موجودة في الاندلس قبل هذا، وتناول الناقد ياسين النصير في دراسة جديدة له (النقطة الابعد في دراما الفنان الوسطى) متخذاً من رواية العراقية الشابة دنى طالب (النقطة الابعد) اساساً لبناء الدراسة التي تناولت حركة السرد داخل الرواية، وتناول مقداد مسعود ديوان الشاعر رعد فاضل (عندما اشتبك النقد بالياقوت) في دراسة خاصة في حين استمر الباحث ناجح المعموري في حفرياته الفولكلورية في التراث الرافديني القديمة في بحث جديد عنوانه (انهيار سلطة الالوهة المؤنثة) متناولاً عدة اساطير عراقية تعكس مدلولات العنوان، ومن موضوعات العدد الاخرى (اشكالية وعي التراث) لرياض عبد الواحد و(البرولوح او المقدمة كرواية في رواية الكاتب الباسكي انامونو) لديوناس بترجمة عادل العامل ودراسة عن (الملصقات الاول) لـ د. نصيف جاسم محمد وموضوع عن (استراتيجيات التلقي في المسرح العراقي) لعبد علي حسن، وكان حوار العدد مع الناقد د. شجاع مسلم العاني عن معالم تجربته النقدية الكبيرة اجراه د. قيس كاظم الجنابي، اضافة إلى نصوص في الشعر والقصة لطالب عبد العزيز وخالد علي مصطفى وصلاح حسن وقحطان الهرمزي وابراهيم سبتي وغيرهم مع استذكارات للشاعر يوسف الصانع واستاذ الفلسفة د. حسام محيي الالوسي، واختتم رئيس التحرير عباس عبد جاسم العدد بكلمة في (نقد التيار الليبرالي في السياسة العراقية) متناولاً مأزق الليبراليين في الوقوف بين الخضوع للاكثرية ديمقراطياً او بالتمسك بتجربتهم الخاصة المتشظية.

معرض الوجوه الشاحبة
النص التركيبي وصخب الحياة اليومية

عادل كامل

منذ افتتح اتحاد ديوان الشرق - الغرب موسمه الثقافي الاول في بغداد في الاول من حزيران عام ٢٠٠٤، اولى الفعاليات التجريبية اهمية خاصة تتوازن مع النشاطات الثقافية الاخرى.. فقدم ديوان النص التركيبي للمخرج الشاب سرمد علاء الدين، وكان بعنوان (أحزان مهرج السيرك) ليقدم ديوان - بالاشتراك مع الفضائية السومرية - وفي قاعة فضاء وفن، النص الثاني التجريبي للمخرج علاء الدين الذي حمل عنوان (معرض الوجوه الشاحبة). ان العلاقة بين التجربتين تتضح بتوظيف عدة اجناس فنية من اجل ايصال مضامين لا تغادر مأزق الانسان المعاصر في مواجهة القهر اليومي المتواصل وهو يحدق في مصير يتدحرج نحو المجهول. هذه الاجناس الفنية توحدها الاشكال والالوان والابعاد والاصوات، حيث الرسم والنحت والاضاءة والموسيقى تتداخل لتشكل وحدة عضوية لمشاهدة تعكس حقائق متنوعة ومتناقضة في المشهد اليومي.. إلى جانب هذه المشاهد المرئية؛ الثابتة والدينامية، يوظف المخرج دور الجسد في حركاته المتنوعة، بالتعبير عن رؤية مسرحية اعتمدت التصوير والانارة في رصد البنية للوجوه المختارة وهي تؤكد حضورها امام المشاهد.. فالمخرج لم يغلق نصه، بل تركه ينمو في سياقه التركيبي، مع استثمار فن الموسيقى خلفية لا يمكن فصلها عن مركز الحركة، واللوحات التشكيلية المتحركة، وسمح للجمهور باختراق المساحة التي توزعت فيها المكعبات، والمجسمات المختلفة، حيث لا احد يستطيع ان يتساءل: من يراقب من... ومن يشاهد من..؟ انها مغامرة تجريبية دمجت المسرح الشعبي المعاصر (البوب) بالتشكيل في اساليبه الحديثة، مع موسيقى مستمدة من الاصوات الميكانيكية ومن الدوى بمختلف درجاته ومصادره، فمن هو الذي يمثل.. ومن هو الذي يراقب..؟ ان المخرج يترك الاجابة تتخذ الصدمة اجابة بين الفعل الفني وبين المراقب.. فلعبة النص لا تكتمل إلا بهذا الدمج.. حيث التشفير يبدو صريحاً بمغزاه الرمزي والفلسفي.. فالوجوه الشاحبة لا تتحدث عن زمن محدد.. ولكنها لا تغادر زمن العرض.. لأن الحاضر ليس حاضراً الا بازمنته السابقة. وهنا يأتي دور (الديكور) مكملاً لأساسات ومناخات النص التركيبي، فثمة اجساد لا يظهر منها إلا الرأس: اجساد ترتدي الاقنعة، واخرى تذكرنا بوجوه اشخاص السيرك، وثالثة بوجوهنا كمشاهدين لا نمتلك إلا ان نندمج في لعبة وجودنا: وجوه لم يبق منها إلا الشكل، وكأنها تحولت إلى تماثيل، ومومياءات، وعلامات لرموز معاصرة مثل الوجوه البيروقراطية، تواجه المشاهد، داخل مساحة واحدة، وقد اسهمت الموسيقى، والانارة، ومختلف الروائح، والمؤثرات، في الوصول بالعرض إلى ذروته: هو ذا الانسان المعاصر.. وقد غدا يمثل دوره عبر حركات ورقصات وعبر تحوله إلى افعال آلية أو تماثيل ساكنة. اننا اقرب إلى مسرح اللا معقول، واقرب إلى العروض العالمية في مواجهة مصائر البشر تجاه اغتراب يخلع الهوية والشخصية والخصوصية جانباً، ليمكث الجسد وقد فقد مميزاته رمزاً ضمن آليات التعاقب والتصادم. ان المخرج، في العرض هذا، يكمل اقتراحاته الاولى في مسرحية (احزان مهرج السيرك)، حيث لم يتخل عن المناهج الفنية التجريبية للحداثات، في عمل يستعرض العلاقات المبنية ضمن تساؤلات فلسفية تتخذ من علاقات الفنون طريقة للبحث عن معالجات لا تنغلق عند اجابات نهائية. فالوجوه الشاحبة، كما قال المخرج في تعقيبه على المحور التجريبي للنص، تمثل جريمة كبيرة خارج التسميات، مستمدة شفراتها من التأمل الوجودي للانسان، وعوامل انتاج هذا الانسان بسبب المخيلة والذاكرة التي تعاني من هذيانات مختلفة تدخل ضمن اطار الوعي او اللاوعي في محاولة لفهم الاشياء بكونها محسوسات ومدركات قابلة للنقاش أو التركيب ومعالجتها بخامات والوان وايقونات قد تكون بحد ذاتها بدون معنى الا بالجدل.. وذلك بسبب الظروف الاستثنائية التي عشناها ونعيشها اليوم، والتي ولدت هذه العلاقات القائمة على الافتراض والذاكرة والمخيلة.. لذا انطلقنا بجدلية عرضها داخل القاعات والمعارض التشكيلية التي تحمل قياسات وبديهيات مسرحية في محاولة للتجرد وبناء انسجة اخرى للوصول إلى افكار وهواجس دينامية تنطلق من فضاءات غير مستكشفة مسبقاً وذلك وفق ايقاع معاصر يعتمد على عظمة المخيلة وقدرتها على تفعيل الذاكرة والافتراض والدهشة وتقديمها معالجات فلسفية حديثة، وضمن ابعاد لا يمكن ان تنغلق ضمن تحد واستجابة للمغامرة الخلاقة، ايماناً منا بقيمة فننا وثقافتنا، ومن خلال ذلك نهدف إلى تسيير رحلات الحياة اليومية المتوقفة ليصل الكل إلى ساحل الامان باذلين قصارى جهدنا من اجل رفعة الفن والادب والثقافة).